

المثل السائر

فسمي الطبي تولبا والتولب ولد الحمار .

هذا ما ذكره قدامة بن جعفر وهو خطأ إذ لو كان ما ذهب إليه صوابا لكانت حقيقة المعاطلة دخول الكلام فيما ليس من جنسه وليست حقيقتها هذه بل حقيقتها ما تقدم وهو التراكم من قولهم تعاطلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى وهذا المثل الذي مثل به قدامة لا تركيب في ألفاظه ولا في معانيه .

وأما غير قدامة فإنه خالفه فيما ذهب إليه إلا أنه لم يقسم المعاطلة إلى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب لها مثالا كقول الفرزدق .

(وَ مَآ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَاءَ ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارَبُهُ) .

وهذا من القسم المعنوي لا من القسم اللفظي ألا ترى إلى تراكم معانيه بتقديم ما كان يجب تأخيرها وتأخير ما كان يجب تقديمه لأن الأصل في معناه وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه وسيجيء شرح ذلك مستوفى في بابه من المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

وإذ حققت القول في بيان المعاطلة والكشف عن حقيقتها فإني أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظي منها الذي أنا بصدد ذكره وهنا فأقول .

إني تأملت بالاستقراء من الأشعار قديمها ومحدثها ومن النظر في حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم إلى خمسة أقسام .

الأول منها يختص بأدوات الكلام نحو من وإلى وعن وعلى وأشباهاها فإن منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلًا على اللسان ولكل موضع يخصه من السبك